

مقدمة

منذ طفولتي وأنا أحلم بالطواف حول العالم وقد دفعني الى ذلك أول درس في الجغرافيا تلقيته في طفولتي ومنه علمت أن الارض كروية . . . ومنذ ذلك التاريخ وأنا أتمنى القيام برحلة حول العالم لأتحقق بنفسى من كروية الارض .

ولكننى عندما كنت أفكر فى ذلك الموضوع لم أكن أتخيل أن ذلك ليس أكثر من حلم تنفيذه محال كنت أذكر بينى وبين نفسى وحولى أهلى ومن أعرف وكلهن محجبات أن السعى وراء مثل هذه الفكرة تعرض صاحبته وخاصة اذا كانت شرقية فى بيئة محافظة الى القيل والقال . ! وكنت أسرح بذهنى وأتخيل أننى اذا لم أكن أهتم بالقيل والقال فكيف أحصل على تلك المبالغ الباهظة التى تتطلبها رحلة حول العالم ، وكنت أحاول أن أنحى هذا الخاطر عنى باعتباره مستحيلا كالعنقاء والصديق الوفى

ومرت الايام وتطورت الظروف وأصبح الحلم حقيقة واقعة .

أمنت بأنه يجب حذف كلمة « المستحيل » من القاموس
وأننا ما دمنا لا نطلب القمر فكل شئ ممكن وميسور .

ليس معنى ذلك أن تحقيق هذا الامل كان شيئا يسيرا ، اذ كان لابد على أن أنتظر الظروف وألتمس المناسبات التى تمهد لى الطريق، وقد حانت الفرصة عندما تلقيت دعوة من الولايات المتحدة للقضاء سلسلة محاضرات هناك عن مصر والمرأة المصرية وأشارت الدعوة الى أنها تشمل الإقامة فى الولايات المتحدة ، وأن أصحابها يلتزمون بتقديم تذكرة ذهاب من القاهرة الى سان فرانسيسكو والعودة منها .

وجئت بخريطة العالم ، وفكرت فى تحويل الرحلة الى أمريكا الى رحلة حول العالم ورسمت لنفسى أن تكون عودتى عن طريق المحيط الهادى لا عن المحيط الاطلنطى والبحر الابيض المتوسط .

ومضيت أسأل احدى شركات الطيران عن فرق ثمن التذكرة وتبين فى الاجابة أنه فرق محتمل لميزانيتى .

وفى الحق لم يكن فرق ثمن التذكرة هو العقبة الوحيدة فى الموضوع . كان على أن أفكر فى تلك المبالغ الكبيرة التى تتطلبها اقامتى فى مختلف بلاد أوروبا وآسيا والشرق الاوسط .

تذكرت حينئذ أنه قد سبق لى أن تلقيت دعوات من بعض الحكومات والهيئات النسائية فى أوروبا وآسيا لزيارة كثير من مدن تلك البلاد والقاء محاضرات فيها عن المرأة المصرية ، فاتصلت بسفير كل بلد من تلك البلاد وأبلغته أنى قبلت الدعوة .

كان ذلك قبل الموعد المحدد لسفرى بشهر وخيل الى أن كل شىء على ما يرام وأن الامر أهون من التفكير فيه وأن كل المصاعب مذلة وجميع الظروف مهيأة لنجاح الرحلة .

بيد أن عقبة ضخمة هائلة قامت فى وجهى وكادت أن تحطم آمالى وتعصف بكل ما أعددت لرحلتى ، اذ وصلتني برقية من أصحاب الدعوة بالولايات المتحدة يقولون فيها أنه يجب أن أتأكد أولا من قدرتى وتمكنى من اللغة الانجليزية اذ ان المحاضرات العديدة التى سألقها فى كبريات المدن الامريكية ستكون باللغة الانجليزية .

كنت فى تلك الايام لا أعرف اللغة الانجليزية معرفة جيدة تتيح لى أن أقتحم المنابر وأعتليها أمام أشهر الصحفيين فى العالم لأشرح قضية المرأة المصرية بقدرة تشبه القدرة التى يمكننى بها أن أتحدث فى هذا الموضوع سواء باللغة العربية أو باللغة الفرنسية .

وكان على اذن أن أخطب بعد شهر بلغة انجليزية فصيحة .
ان طبعى أقوى من اليأس ، لذلك عزمتم فى عناد واصرار أن أتقن اللغة الانجليزية فى شهر ؟ ..

وأخذت أفكر كيف أحصل على نتيجة مرضية فى اللغة الانجليزية فى هذا القدر الضئيل من الزمن وتذكرت أننى قد سبق لى أن قرأت اعلانا فى بعض الصحف عن دراسات باللفات الحية عن طريق « الاسطوانات » .

وكانت الطريقة عبارة عن كتاب فيه ثلاثون درسا ومعه ثلاثون اسطوانة فقررت أن أحفظ فى كل يوم درسا وأن أسافر بعد شهر .

انها ثلاثون يوما بعدها أطوف حول العالم فليكن نصيب كل يوم درسا أقرأه فى الكتاب وأراجعه مع الاسطوانة .

لا يأس مع الحياة لقد حفظت ثلاثين درسا فى ثلاثين يوما وأصبحت بعد تلك الايام الثلاثين أستطيع أن أقف على أى منبر وأحدث باللغة الانجليزية فيفهمنى الناس .



انتصرت أخيرا فحصلت على تذكرة السفر وتعلمت اللغة الانجليزية وبقي على أن أرتب برنامج الرحلة .

قررت ألا أغيب عن وطنى الحبيب أكثر من ثلاثة أشهر وأن أزور فى الشهور الثلاثة أهم عواصم البلاد فى أوروبا وأمريكا وآسيا والشرق الاوسط وأخذت أراجع كثيرا من المعلومات المكتوبة عن تلك البلاد حتى لا تغيب عني أثناء زيارتي لها شاردة ولا واردة . . .



قبل موعد السفر بيوم واحد تفضلت زميلاتي أعضاء اتحاد بنت النيل فاجتمعن بى فى حفل لتوديعى ، وقامت احداهن وتحدثت بإيمان وثقة عن رسالة المرأة المصرية فى الخارج وعن الدعاية القوية المثمرة التى فى امكانها القيام بها لمصر هناك ، وقالت سيدة أخرى فى كلمة لها أنه ان لم يكن لمصر سفيرات فى الخارج الى الآن فان من

واجبنا نحو وطننا أن نلتزم في وجودنا خارج مصر حدود السفيرات
غير الرسميات ، وأعتبرت هذه السيدة أنني سأقوم غدا بهذه
الوظيفة . وتمنيت على الله التوفيق .

وتحدث الجميع بحماسة عن قيمة المرأة في الحياة الدولية وعن
الدور الذي يجب أن تقوم به المصرية نحو بلادها لا في مصر وحدها
بل في جميع أنحاء العالم المتمدين .

وانشرح صدرى وطغت على موجة من الفرح لهذا الايمان القوى
الذى يملأ قلب المرأة المصرية واستعرضت هذا الشوط الطويل
الجبار الذى قطعناه فى سبيل تحررنا .

لقد داخلتنى طمأنينة عجيبة وأنا أستمع الى المحدثات فى حفل
توديعى ، وطمأنينة أبرزت تأزر المصريات اللائى تخلصن من قيود
الماضى بلا رجعة .

ان أكبر دليل على بروز شخصية المرأة المصرية كان واضحا جدا
فى تلك الرحلة الطويلة الشاقة التى اعتزمت القيام بها والتى سيقوم
بمثلها فيما بعد كثير من المصريات ليعبرن للعالم أجمع عن مدى
تقدم المرأة المصرية وقدرتها على أداء الواجب نحو وطنها فى الداخل
والخارج ، وعن مدى تقدم رجالها الذين يعاونون نساءهم فى تحقيق
هذا الهدف أيضا .

ان معاونة المرأة فى مثل هذا دليل ماضى على نضج الرجال واتساع
مداركهم . . انه لا يوجد رجال مستعبدون حيث توجد نساء
متحركات .



وعندما حان موعد قيام الطائرة لاحظت الدموع على خدود طفلى
ورأيت شيئا من الحيرة فى عيني زوجى ، وحزنت لهذه الدموع
وأشفقت من هذه الحيرة .

انه لشيء طبيعى أن تقلت الدموع من عيون الصغيرتين وأن تمر

سحابة من الاسى على وجه زوجى فانه لم يسبق لى قط أن تركت
أسرتى لمثل هذه المدة الطويلة .

وككل أم لها أطفال انزعج خاطرى وأنا أنظر لابنتى اللتين تقفان
مودعتين أمهما لسفر طويل وتتابعن على ذهنى صور بغیضة مؤذية ..
ترى اذا مرضت احدهما فى غیبتى من يقوم على تـمـریضها ؟
ترى أیـقـطـعان الایام التسعین التى أغیـبها کما یـقـطـعان ایامهما
فى رعایتى ؟

لقد کدت أبکی لولا أن الله سبحانه وتعالى شد من أزرى وغیب
الدموع عن عینى وأطاح بالیأس الذى أحسسته قویا جارفا لأول مرة
فى حیاتی واستطعت أن أتمالك مشـاعری وبـادرت الى تشجیع
الصغیرتین قائلة وأنا أربت على کتفیهما « ثلاثة أشهر یفوتوا قوام ..
دی الایام بتجرى » .

وعادت الابتسامة الحلوة على الوجهین الناضرین وودعتهما وودعت
زوجى وصعدت الى الطائرة باسم الله مجریها ومرسـاها مؤمنة
بتوفیقه مطمئنة الى رعایتـه .



أعلن قائد الطائرة أننا سنصل الى روما فى الیوم التالى ثم عقب
ذلك بکلمات طيبة وقبل أن ننأهب للنوم بدأ یشرح لنا کیفیة
استعمال « الباراشوت » فى حالة أى حادث للطائرة .

وسمعت من قرب صوتا یـتـحدـث باللغة العربیة قائلا : « قال
الله ولا فالک یاشیخ »

وحاولت أن أفهم شرح طريقة استعمال الباراشوت ، ولكنى لم
أدرك شیئا من هذا الشرح فقد کان قائد الطائرة یـتـحدـث بلغة
انجلیزیة وفى لهجة مدغومة وبسرعة یصعب على المجیدین فى هذه
اللغة أن یتبیینوها فى وضوح لذلك شرح الرجل وأطال الشرح ولم
أفهم حرفا مما قال .

وهكذا أزعجني قائد الطائرة حيث كان يقصد من كلامه بث
الطمأنينة في قلوبنا .. أنه لفت نظري الى أنني معرضة للموت ولم
يفدني كيف أتقى هذا الموت .. ثم أزعجني لانني لم أفهم من كلامه
حرفا . وبدأ لي أن كل ما بذلته في دراسة اللغة الانجليزية إنما كان
عبثا وهباء .

لقد كان أول القصيدة كفرا كما يقولون

أخذت أفكر فيما لو نجوت من كوارث الطائرة فكيف أنجو من
كوارث المحاضرات باللغة الانجليزية ؟

وأخيرا رأيت أن أطرده من ذهني الفكرتين معا ، فكرة حادث
للتائرة وفكرة التحدث باللغة الانجليزية ، وطلبت من المضيغة أن
تعطيني قرصا منوما وليكن ما يكون بعد ذلك .. ففي وقت الكارثة ..
أو القاء المحاضرات .. يبقى يحلها الحلال ! ..